Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القصيدة ، التى وصفها بأنها تتألف من مجموعة من القمم ومجموعة من المنخفضات . وهذه المنخفضات يدل عليها تكرار بيت أو بيتين أو مقطع « ومما هو جدير بالملاحظة أن هذه المنخفضات يسبقها نوع من الغموض فى الصور والمعانى ، وهى نفسها تمثل لحظات يكاد الغموض فيها يكون تامًّا »(٢٠) .

ويمضى الشاعر كاشفا عن علاقة الصورة بالمعنى ، فيقول :

« بدأت تتضح عندى معان ، لكنها لم تكن بالمعانى المجردة ، كانت معانى لها شكل حلو ، ثم إذا بى فى غيبوبة فجعلت أكتب البقية ، ثم اتضح الموقف من جديد ، شاع فيه الوضوح ، فكتبت : « الرقة الهوجاء تمرح فى صباك الزاهر » . . واتخذت الضحكات شكلا مجسما ، كأنما أرى تمثال « بوذا » الساخر ، عندئذ كتبت : « ومواكب الأوهام تخفق فى ذهول ساخر » . . إلخ ، ويستنتج الباحث أن لحظة الغيبوبة التى تعرض له بين حين وآخر هى نوع من الترجيع له وظيفة معينة بالنسبة لعملية الإبداع ، فحين يكرر نفس العبارة ، ويسترخى قليلا ، فإن هذا المسلك يعيد التوازن إلى مجال الشاعر ، وهو مجال متوتر طوال عملية الإبداع ، يرعى فى الخلق الفنى اعتداله المفقود .

وينتهى مصطفى سويف إلى أن الشاعر لا يبدع قصيدته بيتا بيتا ، بل يبدعها قسما قسما ، فهو يمضى فى شكل وثبات ، فى كل وثبة تشرق عليه مجموعة من الأبيات دفعة واحدة ، أو تنساب هذه المجموعة دون أن يتوقف الشاعر قليلا أو كثيرا .

من حقنا أن نستثمر هذه النتيجة فى فهم أعمق لارتباطات وعلاقات الصورة الشعرية : يمكن أن نتلمس أثر « وحدة البيت » التى أصر عليها القدماء فى جزئية الصورة وعزلتها وانعدام « نقطة جذب » رئيسية فى أكثر قصائد الشعر العربى القديم ، ولا نقصد بنقطة الجذب « بيت القصيد » أو الغرض الأساسى من القصيدة ، وإنما نقصد الصورة المسيطرة التى يسرى تيارها الخفى فى صور القصيدة بشكل عام . ويمكن أن نتذكر ونعود إلى تقويم ما صنعه « العقاد » بقصيدة « شوقى » عن « عمر المختار » (فى كتابه : الديوان) ، حين رمى شعر أمير الشعراء بالتفكك وانعدام الوحدة ومن ثم بعثر أبيات قصيدته السالفة ، وأعاد ترتيبها على نحو يزعم أنه أكثر وفاء بالمعنى . فهل أعاد « العقاد » ترتيب أبيات أو ترتيب مجاميع ووثبات ؟ كم مرة نقل

(٢٠) السابق ص ٢٥٤ .